

الفصل الثالث

العلاقة بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى

(ثقافة الحياة .. وثقافة الحوان)

يقول تشارلز سنجر Charles Singer تكونت الحضارات معتمدة كل منها على الأخرى بصورة ما ، وهي في الحقيقة ليست إلا أدواراً حضارية في حركة واحدة في تطور البشرية ، وأنه ينبغي لنا - إذا أردنا أن نفهم الدور الأوربي في حركة للتطور الحضاري - أن نرجع إلى أصوله ، وهو أمر لا يمكن تحقيقه إلا من خلال قراءة متأنية للقرون الوسطى . هكذا يبدو سنجر منصفاً ، إذ لا يمكن فهم التكوين الحضاري الأوربي بموضوعية دون الرجوع إلى دور العرب والمسلمين . وحتى نهاية القرن الثامن عشر ، لم تكن أوروبا وغيرها من المنتمين لأي حضارة في العالم تشك في تفوق الحضارة الإسلامية وتميزها وعطائها الإنساني في مختلف فروع العلم والمعرفة ، إلى أن شهدت بدايات القرن التاسع عشر طفرة علمية (معتمدة على الميراث العربي والإسلامي) أوروبية ، صاحبها محاولات استعمارية لإخضاع العرب الذين يمثلون - من الناحية التاريخية - العدو الذي استطاع صد أطماعهم في آسيا وأفريقيا . فلم يغيب عن ذاكرة أحد وقتئذ انتصار العرب على الرومان في النصف الأول من القرن السابع إبان الفتوحات الإسلامية الأولى في الشام ، ثم في مصر وشمال أفريقيا . وفي أوائل القرن الثامن استولوا على أسبانيا ، وظل العرب محاصرين لأوروبا من حدود سمرقند إلى أسبانيا أكثر من ثمانية قرون . ولم تستطع أوروبا أن تخرق هذا الحصار إلى آسيا وأفريقيا إلا بعد رحلة فاسكوداجاما إلى الهند حول رأس الرجاء الصالح في سنة ١٤٩٧ ميلادية . وفي إطار هذه المنظومة ، لم يستطع الأوروبيون إخفاء كراهيتهم ومشاعر العداء للعرب سواء بمحاولات السيطرة والاستعمار أو التضليل والتشويه ، حيث ذهب كثير من المفكرين الأوروبيين إلى التهمين والاستخفاف بالدور الإسلامي والعربي في الحضارة الغربية . وعلى حين يمكن القول بأن الغرب ولد سنة ١٤٩٢ بعد رسم خرائط جغرافيا العصور الوسطى ، فإن الفترة من سنة ١١٠٠ إلى سنة ١٥٠٠

ميلادية ، يمكن أن تكون الفترة التي تأسست فيها حضارة جديدة في غربي أوروبا متأثرة - على نحو ملحوظ - بالحضارة العربية والإسلامية التي كانت تشهد وقتئذ نهضة في شتى مجالات المعرفة . وعليه يمكن القول أن الحضارة الأوروبية في تلك الفترة - والتي أدت فيما بعد إلى عصر النهضة العلمية - كانت نتاجاً للدور العربي والإسلامي من الحضارة مترجماً إلى اللغة اللاتينية ، ولكن هذا لم يمنع من وجود تأثيرات يونانية على الحضارة الغربية، ولكنها ثانوية إذا ما قيسَت بالتأثيرات الأساسية والجوهرية للحضارة العربية والإسلامية ذلك على خلاف ما يزعمه بعض مفكري الغرب من أن الحضارة انبثقت من بلاد اليونان ثم أيقظها الأوروبيون من بعدهم ، وما الحضارة العربية والإسلامية إلا الوسيط . وإن كان جورج سارتون Sarton ^(١) يقول : إنه من سذاجة الأطفال أن نفترض أن العلم بدأ في بلاد الإغريق ، لأن المعجزة الإغريقية سبقها آلاف الجهود العلمية في مصر ، وفي بلاد ما بين النهرين وغيرهما من البلدان . أما العلم اليوناني فكان إحياء أكثر منه اختراعاً ، وكفى بالغربيين سوءاً إخفاءهم للأصول الشرقية التي لم يكن التقدم الهليني (الحضارة اليونانية القديمة قبل عصر الإسكندر الأكبر) مستطاعاً بدونها .

لقد امتدت الحضارة الإسلامية على مختلف جوانب الحياة والمعرفة ، حتى أنه في يوم ٢٦ يناير سنة ١٩١٩ فجر أسين بلانثوس Palacios (مستشرق أسباني اهتم بصفة خاصة بالتأثيرات المتبادلة بين المذاهب العالمية والديانات التوحيدية وبصفة خاصة المسيحية والإسلام) مفاجأة ، عندما تقدّم ببحث استهلالي بمناسبة تعيينه عضواً في الأكاديمية الملكية الأسبانية عنوانه " الأخريات الإسلامية في الكوميديا الإلهية " . وقد أثار هذا البحث هزة كبيرة في مختلف الأوساط العلمية في العالم كله ، نظراً لخطورة المشكلة التي أثارها وهي - تأثر دانتي بالتصويرات الإسلامية للأخرة في رائعته الخالدة : " الكوميديا الإلهية " ، وقدم بلانثوس سنة ١٩٣٣ بحثاً قيماً عن التأثيرات الإسلامية في الفكر الأوروبي تحت عنوان " مفكر مسلم أندلسي يؤثر في القديس يوحنا الصليبي " ^(٢) وفيه يدرس بالتفصيل مدى تأثير ابن عباد الرندي (المتوفى سنة ١٣٩٠م) في يوحنا الصليبي ، المصلح الرهباني وعالم التصوف المسيحي في

القرن السادس عشر للميلاد . كذلك يمثل دريبر Draper (٣) واحداً من أشهر علماء الغرب الذين أنصفوا الحضارة الإسلامية ، ولا تزال كلماته الخالدة دليلاً قوياً على الاعتراف بالفضل حين قال : ينبغي لي أن أنعى على الخطة المحكمة المدبرة التي تحايل بها الأدب الأوروبي ليخفي عن الأنظار مآثر المسلمين العلمية علينا . أما هذه المآثر فإنها على اليقين سوف لا تظل كثيراً بعد الآن مخفية عن الأنظار . إن الجور المبني على الحقد الديني والغرور الوطني لا يمكن أن يستمر إلى الأبد .

كذلك ما قاله سيديو Sedillot (٤) يمثل شهادة حق على الدور العربي الإسلامي في الحضارة الغربية حينما يقرر بشجاعة : أنه تكونت فيما بين القرن التاسع والقرن الخامس عشر مجموعة من أكبر المعارف في التاريخ ، وظهرت منتجات ومصنوعات متعددة ، واختراعات ثمينة ، تشهد بالنشاط الذهني المدهش في هذا العصر ، وجميع ذلك تأثرت به أوروبا بحيث يؤكد القول بأن العرب المسلمين كانوا أساتذتها في جميع فروع المعرفة . لقد حاول الأوروبيون أن يقللوا من شأن العرب المسلمين ، ولكن الحقيقة ناصعة يشع نورها من جميع الأرجاء .

إن المتأمل للحضارة الإسلامية ، يعتقد - للوهلة الأولى - أنها التهمت كل شيء صادفته ، ولكن الواقع أنها كانت تتخير غذاؤها تخيراً دقيقاً ، فلقد تقبلت كل مساهمة من شأنها أن تساعد على الاحتفاظ بهويتها مهما تغيرت الظروف . ومن ثم فإنها رحبت بفنون الجدل الإغريقية ومنهج التأويل الرمزي ، وسيكولوجية الزهد المسيحي كوسائل توسع بها دعائمها الأساسية . فأخذت بالطرائق " العقلية " التي تدعم البحث ، وظل الإسلام قروناً عديدة سمحاً بقبول المعلومات والأصول الفنية ومختلف الأشياء وألوان العرف والعادات من كل حذب وصوب ، وكذلك دأب على نبذ كل ما لم يكن من المستطاع التوفيق بينه وبين أسلوبه في التفكير والإحساس . (٥)

فلم يشهد تاريخ الحضارة الإنسانية ، حضارة مثل الإسلام ، حققت انفتاحاً على الحضارات الأخرى ، فأثرت وتأثرت بتلك الحضارات ، بل أن علماء المسلمين ، كانوا شديدي التواضع للعلم ، وجابوا من أجله كل البقاع

لتعلمه وتعليمه ، ولذلك بقدر عدم خلو الحضارة الإسلامية من ملامح حضارية إغريقية .. وغيرها ، لم تخل الحضارات الإنسانية التالية عليها من تأثيرات إسلامية واضحة لا يخطئها المتأمل الموضوعي .

وكانت عملية التمثل الثقافي للإنتاج الحضاري الإنساني في الحضارة الإسلامية ، أشد انتقاءً وعمقاً ، حيث ساعد على النهوض والتجديد دون إخلال بالأصالة والهوية .

ومن المحتمل أن ما يتخذة الإسلام من تسامح ورحابة صدر إزاء المادة الأجنبية ومقدرته على تمثيلها ، قد يثير في النفس شعوراً بأنه تعوزه الأصالة . ولكن أصالة الإسلام إنما تظهر بالضبط في قدرته على تكيف الإلهام الدخيل وفق حاجاته ، وفي خلقه إياه خلقاً جديداً يسبغ عليه طابعه الخاص ، وفي نبذه كل ما لا يقبل التكيف .^(٦)

ومن ثم وجب علينا إن نحن شئنا أن نفهم كلا من مقومات الحضارة الإسلامية وروحها ، أن لا نقصر همنا على اقتفاء ما نقلته واستعارته من المصادر الأجنبية ، بل أن نقدر أثرها ومدى فاعليتها . وليس ثمة ميدان من ميادين الخبرة الإنسانية لم يضرب فيها الإسلام بسهم ولم يزد ثروة التقاليد الغربية فيها غنى . فثمة الأطعمة والأشربة ، والعقاقير والأدوية والتداوي ، والأسلحة والدروع ونقوشها والفنون الصناعية والتجارية والبحرية ، ثم بعد ذلك الأدواق والموضوعات الفنية ، ودع عنك الحديث في المصطلحات العديدة في الفلك والرياضة ، فإن قائمة تدل على المدى الكامل لمساهمة الإسلام في كل ذلك . ولا شك أن أعظم رجال اللاهوت وأعظم الشعراء في القرون الوسطى الأوروبية مدينون للإسلام بأكبر الفضل في ناحيتي الإلهام والمادة جميعاً . ألا نرى إلى توماس أكويناس كيف يستخدم مذاهب ابن ميمون (المتوفى ١٢٠٤) وابن رشد (المتوفى ١١٩٨) ، كما أنه يستخدم طريقة الجدل المألوفة عند المتكلمين الإسلاميين .^(٧)

وكذلك بذلت جهود شبيهة بهذه في ميدان الكيمياء القديمة Alchemy والتنجيم ، وقد ابتكر العرب المسلمون علم الجبر ، ويعد محمد بن موسى

الخوارزمي أول من ألف مصنفاً في الجبر والمقابلة ، وكان له السبق في استخدام المماسات والقواطع ونظائرها في قياس المثلثات والزوايا ، وهو ما وضعه " أبو الوفاء محمد بن محمد بن حبي النرجاني " الذي أنشأ أول جدول للمماسات ، ومصنفاً لاستخدام الأوتار ، وشرحاً لكتاب ديو فانطس في الجبر والمقابلة ، وفي مجال الرياضة أيضاً نبغ أبناء " موسى بن شاعر " محمد ، وأحمد ، والحسن ، فقد برعوا في الهندسة والميكانيكا (علم الحيل) ، والبحث في مجال الحركة والآلات المفرغة للهواء والموسيقى والنجوم ، ولهم كتاب متميز في مبادئ الميكانيكا وذبذبات الصوت . وفي مجال علوم الطبيعة ، صنف " ابن الهيثم " في علم الأبصار والأشعة المنعكسة والمنكسرة ، وغير ذلك مما مهد لصناعة الميكروسكوب والتليسكوب ، وعلم البلورات المبكرة عموماً ، والمقربة كذلك ، وقد نقلت كتبه إلى اللغة اللاتينية ، وانتفع بها الأوروبيون ومن أولئك جاليليو . ومن علماء المسلمين في مجال " تخطيط البلدان " ، " الإدريسي " ، " زكريا بن محمود " ، " ياقوت الحموي " ، " أبو الفدا إسماعيل " ، " المقرئزي " . وقد كان تجار العرب أول من جاس خلال الأقطار وقطع البحار ، وكانت لهم مشاهدات قيمة ، ولم تخل آراؤهم فيها من فوائد ثمينة وأخبار قيمة . ولأبناء " موسى بن شاعر " فضل كبير في الاستكشافات الفلكية ، وخصوصاً تحديد المبادرة السنوية أي تفهقر نقطتي الاعتدالين ، ورسم مواقع النجوم على مدار السنة ، وقياس عرض مدينة بغداد بأنه ٢٣ درجة ، ٢٠ دقيقة ، وهو العرض الصحيح الذي استخرجه علماء عصرنا .

وإذا كان بعض مؤرخي العلم من أمثال جوستاف جرونباوم ، يذهبون إلى أن سيطرة الأمم على الطبيعة ، مقياس لتأخر الأمة أو وصولها إلى مرتبة الحضارة ، وهم يعتقدون أيضاً أنه بهذا المقياس أن العالم الإسلامي لم يضرب إلا بسهم ضئيل فيها .^(٨)

والواقع أن هذه النظرة الإسلامية للطبيعة التي لا تلهث لوضع الحياة الفيزيائية (المادية) تحت الضبط والهيمنة التقدمية ، تمثل أجمل وأرقى النظريات والفلسفات البيئية المعاصرة ، والتي تسعى إلى التوافق والتناغم مع البيئة دون إفراط أو تفريط .

وعلى الرغم من اندثار بعض الحضارات ، كحضارة بين الرافدين ومصر القديمة والإغريقية والبيزنطية وأمريكا الوسطى ، إلا أن ثمة اتفاق على وجود خمس حضارات أساسية ، الإسلامية ، الغربية ، الصينية ، الهندية اليابانية ، ويضيف بعض الباحثين الروسية الأرثوذكسية كحضارة مستقلة متميزة عن سلفها البيزنطية ، بينما يعتقد باحثون آخرون ، في وجود حضارتين أخرتين هما الأفريقية ، الأمريكية اللاتينية . وسنحاول فيما يلي استعراض العلاقة بين الحضارة الإسلامية والحضارات المشار إليها آنفاً .

١ - الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية :

سبق أن أوضحنا في مقدمة الفصل الراهن - أن الغرب ولد سنة ١٤٩٢م ، حيث تم اكتشاف أمريكا وطرده المسلمين من أسبانيا ، وعلى الرغم من أن هذا لم يتحقق على نحو نهائي سوى سنة ١٦٠٩م ، لقد ولد الغرب تحت شعار " الاستيلاء والطرْد " ولا يعني ذلك أنه لم يكن للغرب وجود قبل العصور الحديث ، فعلى العكس من ذلك ظل العالم الأوروبي ينظم ذاته عبر العصور القديمة . لكن ميلاد الهيمنة والسيطرة كان على النحو الذي ذكرناه سلفاً . ومن ثم فإن ادعاء هنتجتون بأن الحضارة الغربية ترجع إلى القرنين السابع والثامن الميلادي ينطوي على مبالغة كبيرة .

فبالنظر إلى هذا التاريخ كان العالم الغربي مازال يعيش في ظلمات العصور الوسطى ، والدليل على ذلك أن أول بوادر النهضة وتباشير البعث في الحضارة الغربية كانت على يد الراهب " توما الأكويني " بعد التاريخ الذي يذكره " هنتجتون " بقرون ، حيث استفاد الإكويني بشكل مكثف من إسهامات ومداخلات فلاسفة مسلمين مثل ابن رشد والفارابي وابن سينا . كذلك فإن الدليل الثاني هو أن مقدم الصليبيين إلى المشرق العربي في حملاتهم الأولى جاء في القرن العاشر الميلادي ، في وقت كان الغرب فيه يحاول جاهداً - وبنجاح محدود - الإمساك بأسباب التقدم في التنظيم والتدريب والتسليح العسكري ، وكانت النهضة بعيدة المنال وأبعد منها الإصلاح الديني والتحول العلماني اللاحقين ، حيث كان رجال الكنيسة يلعبون في ذلك الوقت دوراً مهماً في مجال التوجيه والتحريض وسبغ الشرعية على الحكام .^(١)

ويجدر الإشارة إلى أن الحضارة الغربية قد استعارت من الحضارة الإسلامية سواء عبر الأندلس (بعد سبعة قرون من الوجود الإسلامي هناك) ، أو بما حملته الحملات الصليبية العائدة من المشرق العربي من إنجازات الحضارة الإسلامية . ولم يكن ما أخذته الحضارة الغربية من حضارة الإسلام قاصراً على المنجزات العلمية والتقنية فحسب ، بل امتد ليشمل مختلف جوانب الفكر والأدب والفلسفة والفنون .. إلخ .

وعلى الرغم من أن مصطلح الغرب كان يعكس - من الناحية الجغرافية - غرب أوروبا وأجزاء من وسطها ، إلا أنه منذ بداية الحرب الباردة بات يشير إلى تحالف استراتيجي عسكري إيديولوجي اقتصادي يضم الولايات المتحدة وكندا وأوروبا الغربية ، وهو ما يقلل من فكرة وجوده ككيان حضاري أو ثقافي متجانس . على حين أن مصطلح " الشرق " يطلق - قبل تحلل الاتحاد السوفيتي - على المعسكر الاشتراكي في شرق ووسط أوروبا والدول الحليفة معه التي تطبق نظامه السياسي والاقتصادي والاجتماعي .

وعلى نحو أخير فإن بعض المفكرين الإسلاميين المعاصرين يطلقون كلمة " الغرب " على مجمل أوروبا وأمريكا الشمالية ، على اعتبار أنهم ينظرون إلى " الشرق " الشيوعي على أنه في نهاية المطاف نبت حضاري للغرب بمعناه الثقافي والحضاري الواسع، وبقيمه ومبادئه ومثله العليا وينمط تطوره التاريخي. فالماركسية هي في نهاية الأمر نتاج للحضارة الغربية ، وإن كانت رد فعل على بعض تجاوزات هذه الحضارة، فإنها تبقى أسيرة إطارها المرجعي وفلسفتها المادية وتفسيرها الصراعى للأحداث . (١٠)

وهذا ما يفسر أن كثيراً من الآراء المعاصرة السياسية والاستراتيجية (مثل فوكوياما وهنتجتون وغيرهما) والتي انطلقت من الغرب ، اعتمدت - في المقام الأول - على مرجعية الفكر الماركسي .

ومن المهم أن نشير في هذا المقام إلى أن الغرب الذي نعنيه في الدراسة الراهنة يضم مكونين أساسيين هما أوروبا وأمريكا الشمالية ، فعلى الرغم من المفارقة بينهما في القرن التاسع عشر ، أصبحا يمثلان جناحا الحضارة الغربية (أوروبية / أمريكية) ، أو حضارة شمال الأطلسي . ووفقاً لهذا الأساس فإن

الغرب يتم تحديده على نحو جغرافي ، إلا أن هذا لا ينفي البعد الإيديولوجي للحضارة الغربية المتمثل في المسيحية أو اليهودية ، المسيحية من وجهة نظر أخرى . كذلك فإن للغرب تجربته السياسية الاجتماعية الليبرالية التي تميزه عن غيره من المجتمعات .

وعلى الرغم من أن العالم الإسلامي ، كان مصدراً أصيلاً للحضارة الغربية ، كما أوضحنا سلفاً ، إلا أن القرنين الرابع عشر والخامس عشر شهدا ظهور علامات الابتعاد الثقافي للأوروبيين عن العالم العربي - الإسلامي ، هذا التباعد والانكفاء ، لم يؤد بعد ذلك إلى قطع الاتصالات بين هاتين الحضارتين ، وإنما أخذت الاتصالات بينهما أشكالاً جديدة ، فانتظمت العلاقات الدبلوماسية ، واتسعت وتنوعت العلاقات التجارية . وحتى في ميدان العلوم الطبيعية ، وعلوم الطب ، وإلى حد ما في ميدان الفلسفة ، استمر الأوروبيون في توجيههم نحو المصادر العربية بغية الحصول على المعارف الضرورية التي تلزمهم . ومن النصف الثاني من القرن الخامس عشر والنصف الأول من القرن السادس عشر استؤنفت أعمال الترجمة والعلاقات الثقافية بين إيطاليا والعرب ، وإن كانت على نطاق غير واسع . ولكن في المجال المعرفي البحث ، تنامي موقف اللامبالاة والتجاهل إزاء الفكر العربي الإسلامي .^(١١)

ولكن الذي يمكن استنتاجه من أحداث القرون الوسطى ، يتحدد في توجيهين أساسيين ، حرص الغرب المسيحي على أن يبني علاقته مع العالم الإسلامي على أساسهما ، وهما : ضرورة الأخذ من هذه الحضارة ، والتعلم منها ، والتوجه الثاني ، اعتبارها حضارة ذات عقيدة معادية للغرب والمسيحية ، ومن ثم وجب الاستعداد لها ومحاربتها .

وتشكلت في الوعي المسيحي ، إبان القرون الوسطى ، القوالب النمطية الذهنية عن الإسلام ، وهي التي نشأت في كثير من جوانبها بارتباط مسبق وارتهاان شرطي بنوع وطبيعة الموقف التقليدي للكنيسة من الحضارة الإسلامية . وبشكل عام فإن صورة الإسلام وحضارته المتكونة آنذاك ، وهي مزيج متناقض لمجموعة من المعارف المشوهة ، التي هيمنت لفترة طويلة على عقل الإنسان الأوروبي ومنطقه ومداركه تجاه الإسلام وحضارته . ويشير الدارسون إلى

ثلاثة عناصر بنوية ، أسهمت في تشكيل هذه القوالب النمطية ، متداخلة فيما بينها ، وهي : الميثولوجية ، واللاهوتية ، والعقلانية .^(١٢)

أما في العصر الحديث (في الفترة ما بين القرنين السادس عشر والثامن عشر) ، جرت في أوروبا عملية فكرية بطيئة ، ضمن إطار دائرة ضيقة من المختصين ، في ما يتعلق بتراكم المعارف العلمية عن الشرق العربي والإسلام . ففي القرن السادس عشر حدثت تغيرات كبرى في موقف المسيحيين إزاء الإسلام . حيث أن الأوروبيون بدأوا يلمسون كيف أن السبق الثقافي أصبح يتحول إلى صفهم ، ولم يُعدَّ الأوروبيون ينظرون إلى الإسلام بوصفه منافساً جدياً في ميدان العقل والعلم . حتى أن مارتن لوثر Luther (مؤسس البروتستانتية) تهكم على تصورات القرون الوسطى (الأوروبية) حول الإسلام . وكان لوثر واحداً من أوائل الذين صاغوا " نموذجاً " جديداً للموقف من الإسلام حيث يقول " البابا والإسلام يشكلان - من حيث الجوهر - العدوين اللدودين للمسيح والكنيسة المقدسة " .^(١٣)

وفي الاجتماع السنوي الثاني والعشرين للجمعية الأمريكية الكاثوليكية التاريخية ، الذي عقد سنة ١٩٤١ ألقى مارشال بولدوين Baldwin ، بوصفه رئيساً للجمعية ، خطاباً جاء فيه " إن الغرب ما عاد ينظر للإسلام باعتباره خطراً على الحضارة " وهو بذلك كان يصف وضعاً حديثاً كانت فيه البلاد الإسلامية كلها تقريباً تحت السيطرة الغربية . وذكر بولدوين مستمعيه " بأن العالم المسيحي ، أو أجزاء مهمة منه على الأقل ، ظلت تواجه خطر عالم إسلامي معاد لفترة تقرب من الألف سنة تمتد من تاريخ وفاة النبي سنة ٦٣٢م حتى تاريخ انهيار آخر هجوم عثماني أمام فيينا سنة ١٦٨٣م " ثم أضاف " إن الإسلام كان الدين الوحيد الذي جاء عقب المسيحية وغنم منها مناطق شاسعة ، وكبدها هزائم عسكرية كبرى " .^(١٤)

هكذا تبدو النظرة الحديثة التي نظر بها الغرب للشرق الإسلامي منذ البداية وحتى سنة ١٦٨٣ ، نظرة عداء دفاعي في البداية تحولت إلى عداء هجومي فيما بعد . وقد تأصلت هذه الروح العدائية للإسلام من قبل الغرب في الحروب الصليبية (١٠٩٥ - ١٢٩١م) ، والتي انطلقت شرارتها الأولى في

السابع والعشرين من شهر نوفمبر سنة ١٠٩٥م بالخطبة التي ألقاها البابا إربان الثاني Urban II في حشود المستمعين في أوفرني بكليرمون في جنوب فرنسا. وقد تركت الحروب الصليبية أثراً سالباً على المجتمعات العربية الإسلامية ، حيث عانت هذه المجتمعات من التدهور الاجتماعي على صعيد النظام القيمي والأخلاقي ، وتوترت العلاقات بين المسلمين والمسيحيين ، لاسيما في بلاد الشام . ومن ناحية أخرى ، أدت الحروب الصليبية إلى اختلال القوى الاجتماعية في بعض المناطق ، إذ تحول المسلمون إلى أقليات في المدن التي احتلها الصليبيون من جراء المذابح الصليبية والهجمات الضخمة التي نجمت عنها . كما أن بعض المسلمين أثروا أن يرتدوا عن دينهم فاعتنقوا المسيحية خوفاً على حياتهم . أما التأثير الاقتصادي للحروب الصليبية في العالم العربي الإسلامي ، فقد اتخذ أبعداً غير منسقة . فبينما عانت الزراعة من التدهور والتخريب في بعض المناطق ، ازدهرت التجارة الداخلية والخارجية في مناطق أخرى ، وبينما ازدهرت بعض المدن الواقعة على طرق التجارة البرية والبحرية اضمحلت مدن أخرى كانت مزدهرة قبل عصر الحروب الصليبية . وخلاصة القول ، لقد كانت الحروب الصليبية صداماً عسكرياً ومواجهة حضارية طويلة مضنية بين الشرق العربي الإسلامي والغرب الأوروبي الكاثوليكي . وقد بدأت هذه المواجهة في وقت كانت الحضارة العربية الإسلامية قد بلغت أقصى مراحل نضجها وتطورها . وفي خضم الصراع تجلت عوامل الضعف في العالم العربي الإسلامي ، وتجلت في الوقت نفسه عوامل القوة التي ساعدته على الصمود أمام الغزوة الصليبية والانتصار عليها . وإذا لم تكن الحروب الصليبية هي السبب في توقف الحضارة العربية الإسلامية وجمودها ، فإن تلك الحروب التي استمرت أكثر من قرنين من الزمان ، كانت من أهم عوامل استنزاف قوى الدفع الإبداعية في الحضارة العربية الإسلامية .^(١٥)

ولكن ذكريات المسلمين عن الهيمنة الغربية لا تقف عند حدود الحروب الصليبية ، تلك الحروب التي عبرت - كما أوضحنا سلفاً - عن صراع حضاري بين الإسلام والمسيحية الكاثوليكية ، ورغبة الأخيرة في الهيمنة

والسيطرة على العالم الإسلامي . ولكن الخبرة الأحدث عهداً تتجلى مع الحقبة الاستعمارية التي بدأت منذ القرن السادس عشر وحتى ما بعد سنة ١٩٤٥ . وعلى الرغم من أن التجربة الاستعمارية والصراعات المناهضة للاستعمار هما عاملان مهمان في تحديد تصورات المسلمين المعاصرين عن الغرب ، فإنه ليس بالإمكان إغفال أثر هاتين العمليتين في التفكير الأوروبي ، لقد أثبت الإسلام ، من حيث هو ثقافة ، قدرة على المقاومة النسبية للتغلغل الاستعماري . كما أن البعثات التبشيرية المسيحية بدأت خلال الحقبة الاستعمارية اختراقاتها المحدودة داخل الأراضي الإسلامية . وتعمل الأوروبيون تفسير هذه المقاومة باعتبارها دليلاً على التعصب الديني والسياسي .^(١١) على أن الأمر بلغ ذروته باقتطاع جزء من قلب العالم الإسلامي وإقامة كيان يهودي به ، وتوسعت إسرائيل مع الزمن وبدعم عسكري غربي جعلها دائماً في موقع المتفوق عسكري على الدول العربية الإسلامية . ولم تتخل أوروبا عن إسرائيل طيلة صراعها الطويل مع العرب ، كما أن هذا الدعم الغير محدود يمثل أحد ثوابت السياسة الأمريكية في الإدارات المتعاقبة . وإذا كان الاستعمار - بمفهومه التقليدي - مآله عملياً أن ينتهي ، فإن إسرائيل تظل البؤرة الصليبية في قلب العالم الإسلامي .

أما إذا أردنا الحديث عن المكون الثاني للغرب وهو الولايات المتحدة الأمريكية ، فإن تفاعلها مع العالم الإسلامي لم يبدأ جدياً حتى أوائل القرن التاسع عشر . وعلى الرغم من أن الانطباعات الذهنية المتولدة عن قرون الخبرة الأوروبية تمثل جزءاً مهماً من النهج الفكري تجاه الإسلام على جانب الأطلسي ، إلا أن نظرة بعض الإسلاميين للولايات المتحدة كانت مغايرة حتى عقد الستينيات من القرن العشرين ، حيث مثلت بالنسبة لهم نموذجاً للتقدم وشيوع قيم الحرية والديمقراطية . ولم تثبت هذه النظرة كثيراً حتى انهارت أمام أطماع الولايات المتحدة الاستعمارية وأساليب الكيل بمكيالين في التعامل مع القضايا الدولية .

ويجدر الإشارة إلى أن الإسلام ينتشر في الولايات المتحدة على نحو ملحوظ ، خاصة في العقود الأخيرة ، حتى أصبح الديانة الثانية من حيث الحجم

بعد المسيحية نتيجة لهجرة أعداد كبيرة من المسلمين وتحول كثير من الأمريكيين السود (الأفارقة) إلى الإسلام .

وفي إطار الحديث عن الهيمنة الاستعمارية للغرب ، لا يغيب الجانب الاقتصادي الذي مثل دائماً هدفاً من أهداف الاستعمار ، زاد من تأثيره ظهور النفط في مناطق كثيرة من العالم العربي الإسلامي .

وعندما شهدت أوروبا نهضتها الحديثة ، وأخذ مجرى التأثير الحضاري ينطلق من الغرب إلى الشرق ، لم يتردد المسلمون كثيراً في الأخذ بأساليبها والاستفادة من منهاجها وإنتاجها ، وربما حالت بعض الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في بعض مناطق العالم الإسلامي ، دون الاستفادة المبكرة من النهضة الحضارية الغربية ، لكن هذا لا يعبر عن رفض للتقدم ، بقدر ما يعبر عن عجز في الإمساك بها والحقا بركبها .

وأي كان الجدل الدائر حول علاقة الإسلام بالغرب ، فإن ثمة أبعاد أخرى لهذه العلاقة ، تتجاوز الإيديولوجية وترتبط في كثير من جوانبها بالدور المركزي الذي تؤدي المصالح والأهداف المتعلقة بالقوة . فلا يمكن تجاهل توزيع القوة والثروة والنفوذ العالمي في هذا الصراع . إنها حضارة الفقير والضعيف وحضارة الغني والجبار ، فهو نزاع بين أولئك الذين يحوزون القوة وأولئك الذين لا يملكونها ، بين أولئك الذين يتحكمون في مصير العالم وأولئك الذين هم موضوع التحكم .

إن جزءاً جوهرياً من أي تحليل للعلاقة بين حضارة الإسلام وحضارة الغرب ينبغي أن يبنى على الربط بين نظم الاعتقاد والقوة .

٢ - الحضارة الإسلامية والحضارة الصينية :

على الرغم من العزلة النسبية التي أحاطت بتطور حضارة الصين ، إلا أنها تقف وسط حضارات العالم العظيمة في تكوينها وإنجازاتها ودلالاتها . فقد تطورت الصين بنفسها وساعدتها على ذلك عزلتها الجغرافية - كان الشعب الصيني في تراثه التقليدي يعتبر نفسه مركزاً للكون . وكلمة شينج - كيو Chung - Kuo وهي الاسم الصيني للصين ، تعني حرفياً " مملكة الوسط " فقد

عدّ الصينيون أنفسهم ، على نحو ما فعل الإغريق ، جزيرة من الثقافة وسط بحر من التوحش والهمجية .

لعبت ثلاث ديانات الدور الرئيسي على مدى ثلاثة آلاف سنة من التاريخ الصيني . وهذه الديانات هي : الكونفوشية ، والتاوية ، والبوذية . أما الكونفوشية والتاوية فهما ديانتان قوميتان أصيلتان في الصين ، وجدتا قبل دخول البوذية إليها من الهند بحوالي خمسمائة سنة . وحتى قبل ظهور الكونفوشية والتاوية كانت هناك ديانة أقدم (تفرعت عنها الكونفوشية والتاوية كل بطريقتها الخاصة) . وسيطرت هذه الديانة القديمة على الصين لما يقرب من ألف سنة . وهكذا امتد تاريخ الدين في الصين لأكثر من ألف عام ونصف الألف قبل أن تواجه أفكاره تحدي التراث الأجنبي .^(١٧)

وليس أدل على قوة الثقافة الدينية الصينية من أن البوذية ، حينما وفدت إليها تطبعت بالثقافة الصينية ، وظهرت المدارس البوذية الصينية الخالصة ، لكن هذا لم يمنع من وجود تأثير قوى للفكر الهندي وتجربته الدينية على عقول الصينيين حتى أنه غير من الكونفوشية والتاوية ، اللتين عادتا إلى الظهور في شكلين جذيرين هما : الكونفوشية الجديدة والتاوية الجديدة الذين يمثلان جوهر الحضارة والثقافة الصينية . وتقوم الفلسفة الصينية على أهمية المحافظة على الحياة الإنسانية العظيمة ورعايتها . من خلال فهم جيد للعالم وجعل الناس عظماء .

ولكون المرء عظيماً وجهان ، في الفكر الصيني ، فهو في المقام الأول يتضمن " عظمة داخلية " هي شموخ الروح ، منعكساً في سلام الفرد ورضائه بكماله . وهو يتضمن ثانياً " عظمة خارجية " ، تظهر في القدرة على العيش بصورة جيدة على الصعيد العملي ، مع الشعور بالعزة في السياق الاجتماعي الذي يوجد فيه المرء في حياته اليومية المألوفة . وهذا المثل الأعلى يسمى " بالحكمة في الداخل والنبل في الخارج " ويقول حكيم الصين لاوتسو Lao-tzu " إنه ما لم يعرف المرء ويحي وفقاً لقوانين الكون الداخلية التي يسميها (الثوابت) فإنه ينتهي بكارثة " ، ويسمى معرفة الثوابت بالاستتارة . ومن يعرف الثابت يتحرر ، ومن يتحرر يخل من الهوى والتحيز ، ومن يخل من الهوى

والتحيز يتسع إدراكه ، ومن يتسع إدراكه يصبح رحب الأفق ، ومن يصبح رحب الأفق يكن مع الحقيقة ، ومن يكن مع الحقيقة يستمر إلى الأبد ، ولا يعرف الفشل على امتداد عمره . أما الجهل بالثابت والتصرف على نحو يقتصر للبصيرة فهو مضي إلى الكارثة . (١٨)

هكذا تبدو حضارة وثقافة الصين لا تخل من التعاليم الطيبة ، وتؤكد على الأخلاق والحياة الروحية ، فالروح وليس الجسم ، هي الجانب الأهم في الوجود البشري .

وتذكر للتواريخ الصينية أن أول دخول الإسلام في الصين ، كان في أيام أسرة تانج ، التي عاصرت البعثة المحمدية ، وعصر الراشدين وعصر بني أمية . وكان القادمون إلى الصين من المسلمين تجاراً دخلوا بلاد الصين من الجنوب أيام بني أمية ، فاستقروا في كانتون حيث أنشئوا لأنفسهم جالية زاهرة ، واتخذوا المساجد ، وأطلق عليهم أهل الصين لقب هوى هوى . واستمر الإسلام يتوسع في الصين ، حتى قرر ماركو بولو الذي عاش في الصين فيما بين سنة ١٢٧٥ ، ١٢٩٢ أن أعداداً كبيرة من المسلمين تعيش في إقليم يونان . وكذلك وصف ابن بطوطة الذي زار الصين في منتصف القرن الرابع عشر ، ترحيب إخوانه المسلمين في مدن الصين به ، وقرر أن كل مدينة من مدن الصين فيها هي للمسلمين ، ينفردون بسكناء ولهم فيه المساجد العامرة . وتمتع الإسلام في الصين بقبول حسن ، ولقي المسلمون معاملة طيبة طوال عصر أسرة تانج ، التي انتهت سنة ٩٦٠م ، فلما خلفتها أسرة سونج ، ازدادت التجارة ازدهاراً ، وتزايدت توافد المسلمين على الصين ، وأصبحت كل تجارة الصين مع بقية بلاد الشرق وأوروبا في أيدي المسلمين ، فعرفت أوروبا حرير الصين وخزفها وتحفها وصناعاتها الدقيقة عن طريقهم ، وحملوا إليها متاجر أوروبا وغرب آسيا ، ونظراً لما امتاز به المسلمون من خلق طيب ، وأمانة والتزام بالقوانين ، فقد احترمهم شعب الصين ، وزاد انتشار الإسلام تبعاً لذلك . ويقرر المبشرون الكاثوليك في القرن التاسع عشر ، إن عدد المسلمين في الصين زاد زيادة عظيمة ، ويردون هذه الزيادة إلى أن عدد المسلمين في الصين سنة ١٩٥٠ خمسون مليوناً ، أي واحد إلى اثني عشر من سكان الصين ، أي أن الصين

تجيء الخامسة في أعداد المسلمين فيها بعد إندونيسيا وبنجلاديش والهند وباكستان. (١٩)

والمأمل في تاريخ العلم يلاحظ أن الصين - بوجه عام - تخلفت نسبياً عن العرب والغرب منذ حوالي القرن الحادي عشر ، ويشير كثير من الباحثين الموضوعيين إلى أن العرب المسلمين لعبوا دوراً مهماً في نقل الأفكار الرياضية للعلم الصيني خلال عصر يوان Yüan (١٢٦٤-١٣٦٨م) ومع أن الصينيين أسهموا كثيراً في تقدّم الرياضيات (ولاسيما في علم الجبر) والفلك ، فإن هذه المساهمات لم تكن تقع على الطريق المؤدي إلى علم الفلك الحديث على الصورة التي اتخذها في الإسلام والغرب . أما علمي الهندسة والمثلثات ، باعتبارهما يقومان على الاستنباط المنظم للبراهين والأدلة ، فلم يكن لهما وجود في الصين على الرغم من أهميتهما في التقدم عند وضع النماذج الفلكية . أما الفلكيون العرب فكانوا قد أعدوا أزياجاً كثيراً تسجل الإحداثيات الفلكية لكثير من المواقع في كل أنحاء الشرق الأوسط بسبب اختلاف المواقيت تبعاً لاختلاف المواقع . وأنت عيوب الصين في هذا المجال إلى أن يستخدموا فلكيين مسلمين في المكتب الصيني للفلك منذ القرن الثالث عشر فصاعداً دون انقطاع . وقد أسس مكتب إسلامي خاص للفلك في الصين سنة ١٣٦٨م كان ما يزال يعمل حينما وصل المسيحيون في القرن السادس عشر ، وعندما وصل المسيحيون كانت هناك أربعة نظم فلكية منافسة : النظام الصيني التقليدي ، والنظام الإسلامي (القائم على التقويم القمري) ، والنظام الأوروبي الجديد ، ونظام المكتب الشرقي الجديد. (٢٠)

لذا فإن نيدم Needham لاحظ أن التأثيرات الرياضية العربية كانت لها فرص لا شك فيها للاندماج بالتراث الصيني . كذلك نلاحظ أن الصينيين لم يبرعوا مثل المسلمين في علم البصريات ، خاصة فيما يتصل بتطوير التلسكوب والمجهر ، وهما الآلتان اللتان لعبتا دوراً أساسياً في تطور علمي الفلك والطب . وقد كان العالم العربي المسلم ابن الهيثم (المتوفى سنة ١٠٤٠م) ساهم بنصيب وافر في تطوير هاتين الآلتين وكانت أعماله قد أرست أسس علم البصريات الحديث ، وإن كان نيدم يرى أن الصينيين في أوائل العصر الوسيط

كانوا على إطلاع على ما كان يجري في علم البصريات عند العرب ، إلا أنه يعترف بأنهم عانوا كثيراً من افتقارهم للهندسة الاستنباطية اليونانية التي كان العرب قد ورثوها عن اليونانيين ، وطوروها .^(٢١)

وهكذا يبدو واضحاً ، وجود علاقات علمية وحضارية بين الحضارتين الإسلامية والصينية ، وكانت الأخيرة قد نهلت كثيراً من الأولى مثلما أوضحنا في النماذج السابق الإشارة إليها . لكن هذه العلاقات ليست على النحو الذي افترضه هنتجتون في كتابه " صدام الحضارات : إعادة صنع النظام العالمي " . يستدل " هنتجتون " لتبرير دعواه بالمواجهة التي حدثت أثناء مؤتمر حقوق الإنسان في فيينا بين الغرب وبين اتحاد الدول الإسلامية الكونفوشية الرافضة لمبدأ العالمية الأمريكية ، ومما يثير العجب استناد " هنتجتون " إلى ملاحظة ضعيفة في دعم رؤيته وهي أن الصين تبني مكونات صواريخ لإيران ، وتساعد باكستان على إنتاج صواريخ . وبهذا التحليل السطحي يربط " هنتجتون " بين الحضارة الإسلامية والحضارة الصينية ، ويعتبرهما معاً مصدر التهديد القوى والمباشر لمستقبل الحضارة الغربية . ويرى أن المواجهات الأكثر عنفاً ستجمع المسلمين بباقي الحضارات (وخاصة الكونفوشية) ضد الحضارة الغربية ، وسيكون الانقسام الأساسي على المستوى العالمي - من وجهة نظره - بين الكبرياء الغربي واللاتسامح الإسلامي والرغبة في تأكيد الذات من جانب الصين . ويؤكد وجود محور تعاوني إسلامي كونفوشيوسي يجمع بين مجموعة من الدول الإسلامية والكونفوشية ، ولذلك يطالب بمنع هذا المحور من التسليح العسكري وخاصة التسليح النووي .^(٢٢)

٣ - الحضارة الإسلامية والحضارة الهندية :

تعتبر الهند دولة ذات حضارة قديمة ، ويعتقد المؤرخون أنها بدأت قبل الميلاد بنحو أربعة آلاف سنة ، ومع ذلك من الصعب تقديم تطور معرفي كامل ومتسلسل عن هذه الحضارة . وثمة آراء تختلف حول حضارة الهند ، حيث يعتقد البعض بوجود حضارة هندية واحدة ، بينما يذهب آخرون إلى وجود حضارات متتالية وتأثيرات متعددة .

ويوجد في الهند ما يقرب من ٢٤٠ لغة ونحو ٣٠٠ لهجة ماعدا اللغة الفارسية والبهلوية والصينية والإنجليزية والسانسكريتية . وتعتبر المعتقدات الدينية في الهند أساساً لجميع النظم الاجتماعية ، فما في الهند من نظم اجتماعية ليس بالحقيقة إلا نظاماً دينية .^(٢٣)

وتنتشر في الهند ديانات عديدة ، وإن لم تبلغ من الكثرة مبلغ اللغات ، فالأديان المشهورة في الهند هي : الهندوسية والإسلام والبوذية والسيكية والمسيحية بجوار مذاهب أتباعها قليلون جداً ، ولكن الذي يهتما في البحث الراهن هو الديانات ذات التأثير الواضح في الحضارة الهندية ، وهم الهندوسية والإسلام والبوذية . والهندوسية هو إتباع أو عبادة الإله فشنو Vishnu أو شيفا Shiva أو الإله شاكتي Shakti أو تجسيداتهم ، أو مظاهرهم أو أزواجهم أو ذريتهم . وهكذا يندرج ضمن الهندوسيين عدد كبير من أتباع عبادة راما وكرشنا Rama & Krishna (وهما تجسيدان لفشنو) وأتباع عبادة درجا Durga وسكاندا Skanda وجانيشا Ganesa (وهما على الترتيب زوجة شيفا وابناه) لكن ينبغي أن نستبعد براهما Brahma وسيريا Surya أي الشمس ، اللذين كان لهما من قبل عبادة خاصة ومعابد خاصة ، كما ينبغي كذلك أن نستبعد قلة هم أولئك الذين يعتبرون التراث الفيدي Vedic (نسبة إلى الفيدا Veda كتاب الهندوس المقدس) هو التعبير الرئيسي عن الدين ، وهو تراث أسبق من التراث الهندوسي .

وعلى كل حال فالهندوسية تشتمل على كثرة من العبادات والفرق التي تقترب قليلاً أو كثيراً من الاندماج في تراث بالغ القدم . وعلى حين أن المفاهيم والممارسات العملية التي يرعاها هذا التراث القديم تؤثر في هذه العبادات والفرق وتضفي عليها طابعاً هندوسياً مميزاً ، فإن هذا التراث القديم ذاته هو الحصيلة النهائية لمؤثرات ثرية أتت من القارة الهندية ، بحيث استوعبت في داخله جميع الآلهة المحلية ، وآلهة القبائل وكثرة من الطقوس والفلسفات .^(٢٤)

ويجدر الإشارة إلى أن تناول فلسفة الهندوسية على نحو تفصيلي وتحليلي يتطلب بحثاً متخصصاً في هذه النقطة تحديداً ، ولكن - وبإيجاز شديد - تقوم الفلسفة الهندوسية على مجموعة من المعتقدات الأساسية وهي : عبادة

قوى الطبيعة - تشخص هذه القوى بأسماء الآلهة - الاعتقاد في خلود الروح - عبادة الأجداد - الميل إلى إخضاع الطبيعة والناس والآلهة لإله واحد أقوى منها وهو الإله أندرا - أساس الدين أو حقيقته تنحصر في تبادل الإنسان قرابينه ، وأن تمنحه الآلهة الكثر واليسر والمطر المبارك والصحة والكنوز .

أما البوذية ، فإن موطنها الأصلي هو الهند ، ثم انتقلت من الهند إلى ما حولها الصين واليابان وبورما ، حتى أصبحت هذه البلاد هي الموطن الحقيقي لازدهار البوذية بعد أن تقلص شأنها في الهند .

ويعرف هذا المذهب على مستوى العالم باسم " البوذية " ، أما في موطنه في آسيا فيعرف باسم بوذا - ساسانا Buddha - Sasana بمعنى طريقة حياة أو نظام الواحد المتيقظ وهو البوذا . ويعرف أيضاً باسم بوذا - داهما Buddha - Dhamma بمعنى داهما - الحقيقة الخالدة والمقصود هنا بوذا أو جوتاما Gautama الذي عاش في شمالي الهند في القرن السادس قبل الميلاد (سنة ٥٥٧ ق.م) ، وبوذا هذا لقب له ، ومعناه " العالم المستنير " .

ويذهب بعض المؤرخين إلى أن بوذا كان نبيل الفكر قوي الروح ماضي العزيمة واسع الصدر عزوفاً عن الشهوات ، زاهداً كريم النفس ، حسن المعاشرة ، بريئاً من الحقد والعدوان ، جامداً لا ينبعث فيه حقد ولا بغض ، ولا تحركه عواطف ولا تهيجه نوازل . وكانت البوذية في أول أمرها مذهباً خلقياً يرمي إلى تركية النفس وتحررها من الشهوات ، ويدعو إلى الحب والتسامح ، والعمل بقدر ما يمكن للتخفيف من آلام الإنسان ، لا فرق بين إنسان وآخر (على عكس الهندوسية التي تؤكد على التمايز الطبقي) . ولم تهتم البوذية بالبحث عن إله كما هو الشأن في الهندوسية فالناس - من وجهة نظرهم - يشقوا كثيراً بالآلهة . ولذلك نجد تعاليم بوذا تدور كلها حول الأساس الخلقي : لا تقتل . لا تسرق . لا تشرب خمرأ . لا ترقص . لا تكذب . لا تزن . لا تكن مترفاً .. إلخ. وكان أهم شيء اتجه إليه بوذا هو العمل على إلغاء نظام الطبقات الذي أوجدته الديانة الهندوسية ، لأن الناس عنده سواسية لا فرق بين صغير وكبير ، وتفاوتهم يكون حسب طهارة نفوسهم وما تتحلى به من حب وعطف وتسامح نحو الآخرين . (٢٥)

والواقع أن طابع البوذية وروحها غريب تماماً عن التعصب الأعمى تجاه أولئك الذين يختلفون معها في الرأي ، وهو ما كان واضحاً في استقبال البوذية وتعاملها مع المذاهب الأخرى ، حيث لم ترفض هذه المذاهب والمعتقدات رفضاً عنيفاً ولم تدّنها بغير تردد ، بل سمحت لها بالاستمرار ، وامتد الأمر لما هو أبعد من ذلك بسعي البوذية إلى ضم هذه المعتقدات والممارسات إلى المعتقدات البوذية .

وكانت الصلات بين الهند والغرب من قبل الميلاد ، حيث كان التجار العرب هم واسطة هذه الصلات تقريباً . فبلادهم قريبة من الهند تقع على بحر العرب كما تقع الهند ، وسفنهم هي التي كانت تقوم بنصيب كبير في نقل التجارة بين الهند وبين هذه البلاد ، ومن الطبيعي أن يكون التجار والبحارة العرب بحكم عملهم أكثر صلة بالهنود . وحين ظهر الإسلام ، ودخل العرب في دين الله ، كان منهم هؤلاء التجار والبحارة العرب ، فحملوا معهم دينهم الجديد إلى البلاد التي يتعاملون معها . وقد وصل المسلمون إلى الهند على ثلاث موجات مميزة ، كان وصولهم الأول إلى سواحل جنوبي الهند كدعاة للدين وتجار ، ورغم أنهم جاؤا بأعداد قليلة فقد استمر وجودهم حتى القرن الخامس عشر . والموجة الثانية لوصول الإسلام إلى الهند حدثت في عهد الحجاج بن يوسف ، حين نظم حملة ناجحة في عهد الأمويين ، قادها محمد بن القاسم سنة ٧١١م . وقد نتج عن هذه الحملة ضم السند إلى الخلافة الأموية . وكانت بلاد السند الإقليم الوحيد الذي حكمه العرب مباشرة أو الذي احتك بهم مباشرة . ورغم أنه كان إقليمياً بعيداً عن الخلافة فقد كان الطريق الرئيسي الذي انتقلت من خلاله العلوم الهندية إلى بغداد . وقد زار السند العربية جغرافيون مسلمون كالمسعودي (توفي سنة ٩٥٦م) ، وابن حوقل والاصطخري . وسلكت الموجة الثالثة طريق ممرات أفغانستان الشمالية الشرقية . وقد بدأت بغزوات محمود الغزنوي (٩٩٨-١٠٣٠) وتأسيس السلطة الغزنوية في البنجاب . وفي عهد الغزنويين ، أصبحت لاهور قاعدة للثقافة الإسلامية في الهند . ونشأ نمط مميز من الثقافة الهندية الإسلامية في جنوبي الهند المعروفة باسم الدكن في ظل البهمنيين (١٣٤٧ - ١٥٢٧) . وربما كانت أقل رقياً من حضارة الشمال لكنها كانت أكثر ليناً منها . وكان

انجازها الثقافي الرئيسي ، بخلاف عمارتها المحلية، يتمثل في تطوير اللهجة الدكنية للغة الأوردية التي أنتجت أدباً غنياً وسليماً من النثر والشعر قبل مدة طويلة من تحول الهند الشمالية إلى الأوردية كلغة أدبية . وقد نقلت العلاقات التجارية تأثير العمارة البهمانية إلى المسلمين على الساحل الشرقي لأفريقيا . ولكن قيام الإمبراطورية المغولية على يد بابر (وهو من أتراك تيمورلنك) سنة ١٥٢٦م يمثل أعلى ما وصلت إليه الهند الإسلامية من روعة وسلطة سياسية وازدهار ثقافي . (٢٦)

وفي مجال الرياضيات والفلك ، اتصل المسلمون بالهند ، وأخذوا عنهم قبل أن يتصلوا - اتصالاً وثيقاً - باليونان . فقد ذكروا أن وفداً من الهند وفد على أبي جعفر المنصور سنة ١٥٤هـ وفيهم رجل ماهر في معرفة حركات الكواكب وحسابها ، وسائر أعمال الفلك على مذهب علماء أمته ، وكان معهم كتاب الفلكي الرياضي " برهمبكت " فكلف المنصور ذلك الهندي بإملاء مختصر الكتاب ، ثم أمر بترجمته إلى اللغة العربية ، وباستخراج كتاب منه تتخذة العرب أصلاً في حساب حركات الكواكب ، وما يتعلق به من الأعمال فتولى ذلك الغزاري ، وعمل منه زيجاً اشتهر بين علماء العرب ، حتى أنهم ظلوا يعملوا به إلى أيام المأمون، حيث ابتدأ مذهب بطليموس في الحساب والجداول الفلكية . (٢٧) لقد أخذ العرب المسلمون كثيراً من نظريات الهند في الحساب والهندسة وبعض المصطلحات الهندية مثل مصطلح " الجيب " في حساب المثلثات ، ولكن لم تنل العرب من التقنيات والشهرة العلمية في هذه التخصصات عن طريق ما أخذوه من علماء الهند ، ذلك أنها كانت عبارة عن مصنعات عملية قاصرة على منطوق القواعد ، وشرح استعمال الجداول ، خالية من البراهين والتحليلات . كذلك كان في بغداد أطباء هنود ، يمثلون الطب الهندي - بجانب الطب اليوناني - اشتهر منهم في عهد الرشيد " صالح بن تنهله الهندي " . (٢٨)

ولقد واجه الإسلام في شبه القارة الهندية تحديين خارجيين هدداهما هويته ، وهما : التحدي الهندوسي والتحدي الغربي . فالحضارة الهندوسية ، رغم بنيتها الطباقية ، أقدر على استيعاب العناصر الغربية وتمثلها أكثر من أي حضارة أخرى . ولقد كان الإسلام وحده هو الذي استطاع ، بفضل توحيده الصارم

وعزلته الطائفية ، أن يقاوم قوة الجذب التمثيلية الهندوسية ، لكن الاتصال والصراع بين الديانتين والحضارتين أدبا إلى نشوء جماعات هامشية ضئيلة الحجم مثل البراهميين والحسينيين الذين تأثروا بالفئتين الإسماعيليتين الرئيسيتين في الهند ، البهرة والخوجيين ، كما أدبا ضمن الهندوسية إلى نشوء حركة البهاكتي الصوفية التوفيقية في القرن الثالث عشر ، وإلى تشكيل ديانة السيخ التي أصبحت فيما بعد عدواً لدوداً للإسلام .^(٢٩)

والواقع أن قدراً كبيراً من الصراع السياسي بين الهندوس والمسلمين في العصور الحديثة ، إنما هو إرث الصراع الديني والثقافي الذي نشب في التاريخ الوسيط وأوائل التاريخ الحديث .

٤ - الحضارة الإسلامية والحضارة الروسية الأرثوذكسية :

المقصود بالحضارة الروسية في البحث الراهن ، تلك الحضارة التي تنتمي إلى الأرثوذكسية الغربية ذات الأصول البيزنطية . وثمة حدود فاصلة بين الحضارة الروسية الأرثوذكسية والحضارة الغربية الكاثوليكية على الرغم من عامل الإرث اليهودي / المسيحي المشترك .

فضلاً على التباين المذهبي ، والنسب البيزنطي المختلف ثقافياً وقيماً ، يضاف إلى ذلك عامل مهم ، وهو خصوصية الخضوع للحكم التنري لأكثر من قرنين من الزمان ، وطول فترة حكم سياسي جمعت صيغته بين الاستبداد والبيروقراطية ، وأخيراً لمحدودية تعرض وتأثر الأرثوذكسية الأوروبية للنهضة والإصلاح الديني والتنوير ، وغيرها من التجارب المركزية في تاريخ تطور الحضارة الغربية ، وأيضاً تأخر هذا التعرض والتأثر في بعض الأحوال .^(٣٠)

ولقد كان انتشار الإسلام في ثانيا الحضارة الروسية الأرثوذكسية مثاراً للدهشة ، فبعد سقوط الخلافة العباسية في بغداد على يد جنكيز خان وجنوده سنة ١٢١٨م ، تفهقر الإسلام على نحو ملحوظ إلى أن دخل قلوب بعض المغول مثل بركة خان ، الذي اعتنق الإسلام وتسمى باسم الملك السعيد بركة خان ، وأخذ كل المغول التابعين له باعتراف هذا الدين ، واجتهد في تعويض الإسلام عما لحق به من الأذى على يد أجداده ، فاهتم بإنشاء المساجد واستقدام الفقهاء والإحسان إليهم ، وتيسير مهمتهم في نشر الدين . كذلك انتشر الإسلام بين القبيلة الذهبية

أكبر قبائل المغول نظراً لتبعيةهم لبركة خان . وفي سنة ١٣١٣م ، تولى زعامة القبيلة الذهبية أوزبك خان ، الذي ظل يحكمها حتى سنة ١٣٤٠م ، وكان مسلماً متحمساً للإسلام ، فوضع خطة لنشر الإسلام في كل بلاد الروس ، وكانت المسيحية قد انتشرت بينهم على يد دعاة مسيحيين من بيزنطة (القسطنطينية) . ولكن أوزبك خان كان متسامحاً ، فلم يأذن لنفسه في اضطهاد المسيحيين في بلاده ، بل ترك دعاة المسيحية يبشرون كيف شاؤوا . وبهذا لم يقدر لهذا الزعيم المغولي المسلم المتحمس أن يوقف تقدم المسيحية في بلاد الروس ، وظل الإسلام في روسيا مقتصرأً على المناطق التي خضعت لمغول القبيلة الذهبية .

وكان يجاور مغول القبيلة الذهبية في جنوب روسيا شعب إسلامي آخر من أصل تركي هو شعب البلغار وقد اجتهد البلغار في تحويل الروس إلى الإسلام ، حيث كانوا على الوثنية في كييف ، وكان ملكهم يسمى فلاديمير ، وكان التنافس شديداً بين المسلمين والنصارى على اجتذابه ، واستقر رأيه على اتباع المسيحية على مذهب الكنيسة الإغريقية (الروم الأرثوذكس) سنة ٩٨٨م ، وهكذا كسبت المسيحية شعب الروس كله ، وانتشرت في كل ما سكنوه وخضع لهم من بلاد ، وهذا حدث يعتبر من أخطر حوادث التاريخ الإسلامي ، خاصة وقد تعصب قياصرة الروس للمسيحية تعصباً شديداً . وعندما قامت الثورة الشيوعية في روسيا سنة ١٩١٧م ، كان في روسيا أعداداً كبيرة نسبياً من المسلمين ، معظمهم من التتار الذين كانوا القياصرة يستجلبونهم من آسيا للاستعانة بهم في الشؤون العسكرية ، وكانت السلطات الروسية تكره أن ينشئ التتار مساجد لهم ولا يسمح لهم بالزواج من الروسيات إلا إذا دخلوا المسيحية ، وكانت الدولة تعمل على تنصيرهم ، وهكذا تحمل تتار روسيا هذا العسف ، لكي يحتفظوا بدينهم ، وعاشوا في فقر وعسر في مناطقهم محتفظين بدينهم . وأما تتار القرغيز ، فقد ظلوا متمسكين بدينهم الإسلامي رغم كل محاولات الروس في تنصيرهم . (٣١)

ومما يثير الدهشة أن يرجع الفضل إلى التتار ، الذين كانوا في يوم من الأيام من ألد أعداء الإسلام إلى انتشاره في روسيا ، بل والدفاع عنه ومحاولة تثبيته ، ذلك أن الإسلام دين عقل وحوار . وفي بعض الأماكن من روسيا ،

شاعت عناصر من الثقافة الإسلامية ، وأصبحت جزءاً من أنظمتها الثقافية التقليدية ، حيث كُيف الإسلام نفسه مع الثقافة المحلية والبيئة الاجتماعية ، وقد أدى ذلك في بعض الحالات إلى نشوء تركيبات جديدة فريدة . ولعب الإسلام دوراً على جانب كبير من الأهمية في الثقافة المادية ، وبصورة خاصة في الطابع المعماري ، الذي كان التأثير فيه متبادلاً بين روسيا والدول الإسلامية . كذلك جاء التأثير واضحاً للإسلام في الطقوس الحياتية الأساسية التي يتميز بها مجرى حياة الفرد من المهد إلى اللحد ، وخلع الإسلام على هذه الجماعات سمات متشابهة تتجاوز الفروق الكبيرة التي كانت بينها في الماضي والاختلافات العرقية والثقافية الكبيرة ، وأما فيما يخص الحياة الاجتماعية فتتجلى السمات المتشابهة أوضح ما تكون في حياة الأسرة حيث تركت الشريعة الإسلامية بغير شك ، أكبر أثر اجتماعي لها .

٥ - الحضارة الإسلامية والحضارة الأفريقية :

على الرغم من الجدل المثار حول الحضارة الأفريقية ، إلا أن أفريقيا ستظل تكويناً وأرضاً وشعباً تعبر عن جزء حضاري مهم ومتميز في تاريخ الحضارة الإنسانية . وربما من قبيل الملاحظة العابرة ، فإن قارة من قارات الدنيا لم تشهد هذا التنوع الثقافي والحضاري مثلما نراه في أفريقيا . وقد تكون هذه القارة - مستقبلاً - قارة الحوار الحضاري نظراً للتعايش المقبول نسبياً بين الديانات الأفريقية التقليدية والإسلام والمسيحية وقليلاً من اليهودية .

إن عدداً من المفكرين والمؤرخين الغربيين يشكك في وجود حضارة أفريقية بالمعنى الدقيق لكلمة حضارة استناداً لمجموعة من الاعتبارات :

أ - أن جزءاً كبيراً من قارة أفريقيا ، خاصة منطقة شمال القارة ينتمي للحضارة الإسلامية .

ب - أن دولاً وكيانات جغرافية داخل القارة تنتمي لهويات حضارية لها خصوصيتها التاريخية مثل مصر وأثيوبيا (على الرغم من الانتماء الإسلامي لمصر) .

ج - التأثير الثقافي والديني للاستعمار طيلة عقود طويلة ، فقد لعب المستوطنون الأوروبيون من هولنديين وبريطانيين وفرنسيين وبرتغاليين

دورهم في إيجاد تأثيرات ثقافية في الأماكن التي استقروا بها في القارة ، كما كان للمستوطنين الهنود في شرق وجنوب شرق وجنوب القارة دور مماثل ، وإن كان أقل تأثيراً .

إلا أنه بالرغم من كل هذه التأثيرات والاعتبارات ، فقد بقيت حقيقة أن الغلبة في أفريقيا - خاصة غير العربية - هي لانتماعات متداخلة من العرق والقبيلة واللغة ، مع وجود شعوب أفريقية لديها قناعة بوجود تراث حضاري لها في أزمنة بعيدة . بل إن عدداً من المفكرين الأفارقة روجوا لنظريات حضارية عامة تشمل الأفارقة عموماً مثل رئيس السنغال الأسبق (ليوبولدسنجور) ونظريته حول الحضارة الزنجية ودورها المحوري في بناء الحضارة الفرعونية المصرية القديمة ، باعتبار الحضارة الزنجية أصل تلك الحضارة المصرية ، على حين يذهب مفكرون آخرون مثل أحمد سيكوتوري وشقيقه إسماعيل إلى التأكيد على حجم وتميز مساهمة الشعوب الأفريقية في إثراء وتطور الحضارات الأخرى خاصة الحضارة الإسلامية .^(٢٢)

بينما ينحو بعض المفكرين منحى ثالث بالتأكيد على الهوية الحضارية الأفريقية ، تلك التي تعبر عن التفاعل الحضاري بين التقاليد القبلية الأفريقية البدائية والإيديولوجيات الحديثة والعقيدتين الإسلامية والمسيحية ، والأمثلة على ذلك الرئيسين الراحلين كينياتا (كينيا) ، نيريري (تنزانيا) . وعلى الرغم من التعدد في الآراء والنظريات حول الحضارة الأفريقية فإن أفريقيا حضارتها المتميزة وهويتها الثقافية الخاصة بها ، وهي كغيرها من الحضارات تعرضت لقوى التآثر والتأثير ، فأخذت وأعطت ، محتفظة حيناً ، وممتخلة حيناً آخر .

وعلى الرغم من الصعوبة التي يكتنفها البحث في مجال دخول الإسلام إلى أفريقيا ، إلا أن الحقيقة الأساسية في هذا المضمار تشير إلى أن ارتباط الإسلام بالتجارة كان هو السبب الرئيسي لدخول هذا العدد الكبير من شعوب القارة الأفريقية إلى الإسلام ، وإن كانت هناك بعض الأجزاء التي دخلها العرب عن طريق الفتوح الإسلامي لنشر الدين (مثل مصر والسودان الشرقي) . فلقد كان لهؤلاء التجار المسلمين الأوائل ، سواء أكانوا من العرب أم من غير العرب المدفوعين بحماسة الداخلين جديداً إلى الدين ، تأثير قوي في المجتمعات

الأفريقية التي كانوا يمرون بها خلال أسفارهم ، وكثيراً ما كانوا يقيمون بين ظهرانيها . وبالرغم من أنهم لم يكونوا من الدعاة النشطين في المجال الديني ، فإن عباداتهم الدينية كانت تثير انتباهاً كبيراً ، وكانت معرفتهم بالثقافة الإسلامية واتصالاتهم التجارية الواسعة المدى تضيف عليهم وعلى الرجال الأتقياء الذين كانوا يسافرون معهم بريقاً خاصاً في نظر السكان المحليين . ومن العوامل التي دعمت انتشار الإسلام في أفريقيا ، بساطة المتطلبات العقائدية للإسلام وتسامحه إزاء المعتقدات الدينية التقليدية والعرف المحلي ، وبصفة عامة كان الإسلام جذاباً للفارقة باعتباره مصدراً لأساليب جديدة في أداء الطقوس ، بالنسبة إلى إناس كانوا يفتشون دائماً عن علاجات قوية خارقة للطبيعة نظراً لافتقارهم إلى أي تحكم علمي يذكر في بيئتهم أو مصيرهم .

ولكن إذا كانت مثل هذه الاعتبارات قد شجعت الأفريقيين كثيراً على التوجه نحو الإسلام كدواء لمصائب الحياة ، بحيث اعتبر هذا الدين الجديد في الواقع كمصدر جديد للقوى الخارقة اللازمة لمعالجة صعوبات الحياة اليومية مصائبها على غرار الديانة الأفريقية التقليدية ، فإننا يجب ألا ننسى أن العقائد الأخروية الأوسع التي يقدسها الإسلام إنما تمثل تحولاً جذرياً جديداً عن العقائد التقليدية . فالاعتقاد بحياة أخرى ينال فيها الإنسان الثواب والعقاب على أعماله التي ارتكبها في هذه الحياة ، هذا الاعتقاد غريب بصورة عامة عن الأديان الأفريقية التقليدية ، ودخول هذا الاعتقاد مع الإسلام يعطي أساساً جديداً لتقييم الأخلاق ، وفيما يتعلق بغرس الإسلام الفعلي ، يجب أن نسجل الأثر المهم للسيارات المحلية السائدة والمتعلقة بحركة السكان وهجرتهم ، فحينما كان تدفق الهجرات القبلية يتطابق مع مسار انتشار الإسلام من خلال التجارة ، كان هذا التطابق يدعم انتشار الإسلام . (٣٢)

ومما يلفت الانتباه ، إمكانيات التسامح التي يقدمها الإسلام إزاء الطقوس التقليدية مادامت لا تتعارض مع القرآن ، بل أحياناً تتسجم معه ، وهذه المرونة والانفتاح يفسران شعبية الإسلام في أفريقيا وانتشاره باطراد أكثر من أي ديانة أخرى سواء سماوية أو أفريقية تقليدية . ومما يؤكد ذلك أن عدد الدول الأفريقية الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي ارتفع إلى ٢٧ دولة من مجموع أعضاء

المنظمة الذي يصل إلى ٥٧ عضواً ، ويقدر إجمالي السكان المسلمين بنسبة ٥١ % من إجمالي السكان في القارة . وكما سبق أن أوضحنا فإن سماحة الإسلام وبساطة تعاليمه وتأكيداته على مبدأ المساواة بين البشر ونبذ التفرقة العنصرية فضلاً على عدم ارتباطه في أذهان الأفريقيين بالاستعمار ، كل هذه العوامل مجتمعة ومتفاعلة شكلت قوة دافعة لانتشار هذا الدين الحنيف .

فقد زاد من سرعة انتشار الإسلام أنه لم يعمل تحت خطوة الاستعمار كما هو الحال بالنسبة للمسيحية التي جاء بها المبشرون . بل على العكس من ذلك ارتبط الإسلام بالكفاح ضد الاستعمار الغربي الذي أخضع القارة كلها لسيطرته منذ أواخر القرن التاسع عشر حتى أوائل القرن العشرين . حيث واجهت الدول المستعمرة مقاومة شديدة ، من جانب الزعامات الدينية والدول الإسلامية . كما ساهم التجار المسلمون والزعامات الإسلامية التي يلتف حولها الأفريقيون في مناطقهم المحلية في دعم الحركات القومية الأفريقية في التخلص من الاستعمار وقيام الدول الأفريقية المستقلة ، ومن ثم أصبح الإسلام ديناً أفريقياً وليس أجنبياً . ولم يكن الإسلام مجرد عقيدة ولكنه مثل حضارة متكاملة، وإن كانت تتميز بأنها لم تكن حضارة إقليمية . فلم تسع لتغيير ثقافة الأفريقيين أو الانصهار في ثقافة جديدة، فمع فتح الأبواب للانتماء لثقافة عالمية ودين عالمي ، إلا أنه لم يفرض على متبعية نبذ ثقافتهم المتوارثة وأن يصبحوا أجانب أو أغراباً في بلادهم ، فالإسلام يمنح معتنقيه هوية جديدة بدون الانفصال عن مجتمعاتهم وفي إطار وحدة الدولة . فمع اتباع الأفريقيين للإسلام ، إلا أنهم يختلفون ثقافياً فيما بينهم ، ومثل الانتماء للإسلام الهوية العامة لهم . وأثبت الإسلام قدرته الاستيعابية الكبيرة للتنوع والتعدد دون المساس بجوهر الدين نفسه. (٣١)

والإسلام في أفريقيا يتمتع بحالة من الاحتكاك ومن المنافسة الديناميكية مع ديانات تقليدية عريقة بالإضافة إلى المسيحية بجهودها التبشيرية واسعة النطاق ، ومع هذا فإنه يتقدم بصورة ثابتة . وفي كثير من دول أفريقيا شاعت عناصر من الثقافة الإسلامية ، ويلعب الإسلام دوراً على جانب كبير من الأهمية في السياسات الداخلية لكثير من البلدان الأفريقية مثل السنغال ومالي والنيجر

ونيجيريا ، وبدرجة أقل في تنزانيا . كذلك يخلق روابط مهمة ما بين هذه الدول . وقد أدى اعتناق الإسلام إلى تأثيرات ملحوظة على عادات اللباس والهندسة المعمارية وبعض النواحي الأخرى للثقافة المادية . وتلقى الشريعة الإسلامية التزاماً واضحاً ، فبالرغم من أن الزواج يقترن بعادات تعود إلى ما قبل الإسلام مثل ثروة العروس ، فإنه يتصف بسمات أساسية واضحة من السنغال إلى الصومال في التقيد " بالعدة " وقواعد الزواج والطلاق والمواريث .. إلخ . وفي السياسة نجد أن مبادئ الحكم والمؤسسات السياسية الإسلامية قد طعمت ، بدرجات متفاوتة ، البنيات السياسية لتلك الحكومات الأفريقية التقليدية التي اعتنقت الإسلام ، وأفضل الأمثلة الباقية نجدها في حكومات الهوسا في نيجيريا الشمالية . (٣٥)

مراجع الفصل الثالث

- 1 - Sarton, G. (1957), Introduction to the History of Science, Baltimore.
- 2 - Palacios, A. (1932), Un Precursur Hispana – Musulman de Saint Jean de le Croix, Études Carmelitaines, Vol. 27, pp. 113-167.
- 3 - Draper, J. (1965), A History of the Intellectual Development of Europe, Vol. II, London, p. 42.
- ٤ - جلال مظهر ، (بدون تاريخ) ، حضارة الإسلام وأثرها في الترقى العالمي ، مكتبة الخاتجي ، القاهرة ، ص ١٩ .
- ٥ - جوستاف جرونباوم (١٩٩٧) مؤلف ، عبد العزيز توفيق (مترجم) ، حضارة الإسلام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ص ٤٠٨ .
- ٦ - المرجع السابق ، ص ٤١١ .
- ٧ - المرجع السابق ، ص ٤٣٥ .
- ٨ - المرجع السابق ، ص ٤٣٦ .
- ٩ - وليد محمود عبد الناصر ، (٢٠٠٢) ، حوار الحضارات ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ، الأهرام ، القاهرة ، ص ٣٠ .
- ١٠ - المرجع السابق ، ص ٣٤ .
- ١١ - أليكسي جورافسكي (١٩٩٦) مؤلف ، خلف محمد الجراد (مترجم) ، الإسلام والمسيحية ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ص ٦٣ .
- ١٢ - المرجع السابق ، ص ٦٩ .
- ١٣ - المرجع السابق ، ص ٩٨ .
- 14 - Baldwin, M. W. (1942), Western Attitudes Toward Islam, the Catholic Historical Review, 28, p. 403.

- ١٥ - قاسم عبده قاسم ، (١٩٩٠)، ماهية الحروب الصليبية ، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ص ٢١٩ .
- 16 - Fuller, G. & Lesser, I., (1995), the Geopolitics of Islam and the West, Rand, p. 27.
- ١٧ - جفري بارندر (١٩٩٣) محرر ، إمام عبد الفتاح (مترجم) ، المعتقدات الدينية لدى الشعوب ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ص ٢٦٨ .
- ١٨ - جون كولر (١٩٩٥) مؤلف ، كامل يوسف حسين (مترجم) ، الفكر الشرقي القديم ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ص ٣٢٦ .
- ١٩ - حسين مؤنس (١٩٨٧) ، الإسلام الفاتح ، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، مواضع متفرقة .
- 20 - Needham, (1969), Science and Society in East and West, in the Grand Tradition, Allen and Unwin, London, pp. 49-50.
- 21 - Ibid. (مواضع متفرقة)
- 22 - Huntington, S. P. (1996), the Clash of Civilizations and the Remaking of world Order, Simon & Schuster, New York.
- ٢٣ - جوستاف لويون (ب. ت) مؤلف ، عادل زعيتر (مترجم) ، حضارة الهند ، دار العهد الجديد للطباعة ، القاهرة ، ص ٢٥٥ .
- ٢٤ - جفري بارندر (١٩٩٣) محرر ، مرجع سابق ، ص ١٣٦ .
- ٢٥ - عبد المنعم النمر (٢٠٠٢) ، تاريخ الإسلام في الهند ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ص ٥٤ .
- ٢٦ - جوزيف شاخت ، كليفورد بوزورث (١٩٩٨) محرران ، تراث الإسلام ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، الجزء الأول ، ص ١٨٥ .
- ٢٧ - أحمد أمين (١٩٩٧) ، ضحى الإسلام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ص ٢٦٠ .
- ٢٨ - المرجع السابق ، ص ٢٦٢ .

- ٢٩ - جوزيف شاخت ، كليفورث بوزورث (١٩٩٨) ، مرجع سابق ، ص ١٩٤ .
- ٣٠ - وليد محمود عبد الناصر (٢٠٠٢) ، مرجع سابق ، ص ٣٧ .
- ٣١ - حسين سؤنس (١٩٨٧) ، مرجع سابق ، ص ص ٧٧ - ٨٠ (مواضع متفرقة) .
- ٣٢ - وليد محمود عبد الناصر (٢٠٠٢) ، مرجع سابق ، ص ٣٧ .
- ٣٣ - جوزيف شاخت ، كليفورث بوزورث (١٩٩٨) ، مرجع سابق ، ص ص ١٥٦-١٥٧ .
- ٣٤ - حورية توفيق مجاهد (٢٠٠٢) ، الإسلام في أفريقيا ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ص ص ٣٥٧ - ٣٥٨ .
- ٣٥ - جوزيف شاخت ، كليفورث بوزورث (١٩٩٨) ، مرجع سابق ، ص ١٥٢ .